الباب الثالث

في الحث على الإنفاق من الأدب والشعر

الباب الثالث

في الحث على الإنفاق من الأدب والشعر

ولما كان من البيان سحر، ومن الشعر حكمة، وكان الجود عند العرب ممدحة والبخل مذمة؛ فإننا نورد في هذا الباب ما يعلي الهمة، ويثير العزيمة على ارتقاء هذه المكرمة، والتباعد عن البخل وما فيه من المذمة، هذا مع أن الكرم ذخر للآخرة زيادة على رفع الذكر في الدنيا:

قال ابن عبد ربه: (أشرفُ ملابس الدنيا، وأزين حللها، وأجلبها لحمد، وأدفعها لذم، وأسترها لعيب؛ كرم طبيعة يتحلى بها السمح السري، والجواد السخي، ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها؛ فهو الكريم ﷻ، فمن كان كريماً من خَلْقِهِ، فقد تسمى باسمه واحتذى على صفته)[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء»[2].

---

(١) المنتقى من العقد الفريد (١/ ١٦٧)، انتقاء صالح بن علي التميمي.

(٢) المصدر السابق (١/ ١٧٠).

وعن علي ﷺ قال: «لأن أجمع ناساً من إخواني على آصاع من طعام، أحبُّ إليَّ من أن أدخل سوقكم هذه، فأبتاع نسمة فأعتقها»[1].

وقال رضي الله عنه وأرضاه[2]:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها
على النـــاس طـــراً إنها تتقلب
فلا الجود يفنيها! إذا هي أقبلـت
ولا البخل يبقيها إذا هي تذهب

وقال معاوية بن أبي سفيان ﷺ: «ما فضيلة بعد الإيمان بالله، هي أرفع في الذكر، ولا أنبه في الشرف من الجود، وحسبك أن الله تعالى جعل الجود أحد صفاته»[3].

قال صلاح الدين الصفدي:

من جاد ساد وأحيا العالمون له بديع حمد بمدح الفعل متصل
من رام نيل العلا بالمال يجمعه من غير حلٍّ بلى من جهله وبلي

---

(١) البرجلاني في كتاب الكرم والجود، رقم (٤٣).
(٢) ديوان علي بن أبي طالب.
(٣) المنتقى من العقد الفريد (١/ ٢١٤).

وقال عبد الملك بن مروان:

«ما كنت أحب أن أحداً ولدني من العرب، إلا عروة بن الورد لقوله:

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى

بجسمي مس الجوع والجوع جاهد

لأني امرؤ عافي إنائي شركة

وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة

وأحسو قراح الماء والماء بارد»[1]

وقال الحسن: «أطعم طعامك من تحب في الله عز وجل»[2]. يشير رحمه الله إلى حديث: «ولا يأكل طعامك إلا تقي»[3].

وقال ناصيف اليازجي فأحسن القول:

إن الكريم الذي لا مال في يده

---

(١) الأغاني (٣/ ٧٣).

(٢) البرجلاني في كتاب الكرم والجود، رقم (٤٢).

(٣) أبو داود (٢/ ٦٧٥)(٤٨٣٢)، الترمذي (٤/ ٦٠٠)(٢٣٩٥)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب»، وقال الألباني: «حسن».

مثل الشجاع الذي في كفه شلل

والمال مثل الحصى ما دام في يدنا

فليس ينفع إلا حين ينتقل

وقال محمود الوراق يحث على البذل وإنفاق المال، وهو يبين أن المال إذا أبقاه صاحبه إلى ما بعد موته ولم ينفق منه، فهو إما لمصلح لا يحتاجه، أو لمفسد يبدده:

اسعد بمالك في الحياة فإنما

يبقى خلافك مصلح أو مفسد

فإذا جمعت لمفسد لم يغنه

وأخو الصلاح قليله يتزيد

وكان حاتم الطائي من أجواد العرب في الجاهلية، وقد صور أخلاق الكرام من البشاشة وطيب النفس تصويراً بديعاً، فقال:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله

ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى

ولكنما وجه الكريم

خصيب[1]

يعني أن ملاطفة الضيف ومضاحكته، والانبساط معه في الحديث بما يذهب الكلفة، ويزرع الألفة؛ من دأب الكرام، وأدب أهل الفضل والإنعام، وذلك في غالب الأحيان خير عند الضيف من أعلى أنواع الطعام

ولقيس بن الحطيم يهون من الشدائد، وأنها تنجلي ولابد؛ لأن مع العسر يسراً، أي: فلا ينفع الحرص على المال، ولا يؤدي الجود إلى الفقر وسوء الحال في كل حال:

وكل شديدة نزلت بقومٍ
سيأتي بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص
وقد ينمي على الجود الثراء
غنيُّ النفس ما عمرت غنيٌّ
وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال
ولا مزر بصاحبه

(١) البيان والتبيين (١/ ٢١)، روضة العقلاء (١/ ٢٦٢).

السخـــاء[1]

ومن شعر الشافعي رحمه الله[2]:

يا لهـــف نفســـي علـــى مـــال أفرقـه

على المقلـــين مـــن أهـــــل المروءات

إن اعتذاري إلى من جـــاء يسألنـــي

ما ليس عندي من إحدى المصيبات

فهو رحمه الله يتحسر على ما فرقه من المال لا حرصاً عليه؛ ولكن يخشى أن يأتيه من يسأله فلا يجد ما يعطيه، فيعتذر.

قال محمود الوراق:

من ظن بالله خيراً جاد مبتدئاً

والبخل من سوء ظن المرء بالله[3]

وقال أبو تمام في مدح كريم:

تعـوّد بســط الكــف حتـــى لو أنـه

---

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٤٤).

(٢) تاريخ دمشق (٥١/ ٤٠٤).

(٣) المنتقى من العقد الفريد (١/ ١٧٠).

ثناهـــا لقبـــض لـــم تُجِبـــه أنـاملـــه
تـــــراه إذا مـــا جئتـــه متهـــــللا
كأنـك تعطيـــه الـذي أنـــت سائلـه
هـو البحـر مـن أي النواحـــي أتيتـه
فَلُجّته المعـــروف والجـــود ساحله
ولـــو لـــم يكـــن في كفـــه غير روحه
لجـــاد بهـــا فليتـــق الله سائـلـــــه

وبعض الناس يستشف مع جوده معاني لطيفة، تجعل جوده مضاعف الأجر، فمن ذلك ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا تصدقت فدعا لها الفقير، دعت له بنفس الدعوة، قالت: «حتى تكون دعوتي مقابل دعوته، وتكون الصدقة خالصة لله».

وقال أسماء بن خارجة: «ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة طلبها، لأنه لا يخلو أن يكون كريماً فأصون له عرضه، أو لئيماً فأصون عرضي منه»[1].

(١) المصدر السابق (١/ ١٧١).

وقيل لبعض الحكماء: «من أجود الناس؟ قال: من جاد من قلة وصان وجه السائل عن المذلة»[1].

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «هلاكٌ بالرجل إذا دخل عليه الرجل من إخوانه؛ فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليه، وهلاكٌ بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم»[2].

ووقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما فقالت: «أشكو إليك قلة الجرذان! قال: ما أحسن هذه الكناية! املئوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً»[3].

قال ابن دريد:

لا تدخلنك ضجرة من سائـل

فلخير دهرك أن تُرى مسئولا

لا تجبهــن بالــرد وجه مؤمـل

فبقــاء عزك أن تُرى مأمـولا

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٧١).

(٢) البرجلاني في كتاب الكرم والجود، رقم (٥٠).

(٣) المنتقى من العقد الفريد (١/ ١٨٩).

* * *

* *

*